علوم الإمام علي (عليه السلام) في فكر المستشرقين: دراسة في نهج البلاغة

The Sciences and Knowledge of Imam Ali in Orientalists' Thought: A Study in Nahj al-Balagha

أ. م. د. منتظر كامل منصور الكعبي

المركز الدولي للتدريب والبحث والتطوير – بغداد

Asst. Prof. Dr. Muntathar Kamil Mansour Al-Kabbi

International Center for Training, Research, and Development, Baghdad

ملخص البحث

بدأت الدراسات الاستشراقية حول الإمام علي (عليه السلام) تكتسب زخمًا في القرنين التاسع عشر والعشرين، تزامنًا مع اهتمام العالم الغربي المتزايد بفهم الحضارة الإسلامية من منظور ديني وتاريخي وثقافي. وقد تناول هؤلاء الباحثون حياته وأفكاره وعلومه من خلال جوانب نقدية وتحليلية ومقارنة. وركَّز كثيرٌ منهم على نهج البلاغة وأهميَّة ما نقلته خطبُه وحِكَمُه في العلوم الدينية والإنسانية والطبيعية. يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث. تناول المبحث الأول العلوم الدينية والقرآنية في فكر الإمام علي (عليه السلام) من وجهة نظر المستشرقين. أمَّا المبحث الثاني، فقد ركز على العلوم الإنسانية التي تحدَّث عنها في نهج البلاغة من خلال نظرة تحليلية استشراقية. وكان هدفُ المبحث الثالث العلوم الطبيعية في نهج البلاغة كما تناولها المستشرقون في كتاباتهم ودراساتهم. في هذا البحث، اعتُمد على المصادر الاستشراقية الأصليَّة باللغة الانكليزية والفرنسية والألمانية لمستشرقين من المدرسة القديمة والمعاصرة.

الكلمات مفتاحية: نهج البلاغة، علم الإمام، الدراسات الاستشراقية

Abstract

Orientalist studies on Imam Ali began to gain momentum during the 19th and 20th centuries. Many researchers have focused on Nahj al-Balagha and the Significance of its sermons and wise sayings in religious, human, and natural sciences. This study consists of an introduction and three sections. The first addresses religious and Quranic sciences; the second focuses on the humanities in Nahj al-Balagha; and the third aims to study the natural sciences in Nahjal-Balagha. In this study, we relied on original orientalist Sources in English, French, and German from both classical and modren schools of Orientalism.

Keywords: Nahj al-Balagha, Sciences of the Imam, Orientalist Studies.

المقدمة

الإمام علي (عليه السلام) هو بابُ مدينة علم النبوّة، ووارثُ علم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهو أوَّلُ مَنْ قال: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي»، وبهذه العبارة، فهو أوَّلُ مَنْ وضع أُسُسَ النّقاش العلمي، ولم يسبقه أحدٌ غيره بذلك. وقد عَبَّرَ أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الروح العلمية من خلال خطبه وكلماته وحِكَمه في نهج البلاغة، إذ نرى أنَّ أكثر هذه الحكم تدخل في مجالات عدة، وقد ركَّز كثير منها على علوم القرآن، وعلم الاجتماع، وعلم النَّفس، والأخلاق، وتشترك هذه الثلاثة في أنَّها علوم إنسانيَّة، ويفترق كلُّ واحد منها عن الآخر بجهة خاصة، فعلم النفس يبحث عن غرائزها وصفاتها، وسلامتها وأمراضها، وعن أسبابها: هل هي ذاتية، او وراثية، أو من التربية والبيئة، ويبحث عن تاريخ الصفات: هل ولدت بولادة الإنسان، أو بعد الولادة بسنة أو أكثر، وأيضًا يبحث آثارها ونتائجها في سلوكه وأفعاله. ويبحث علم الاجتماع في أحوال المجتمعات الإنسانية وأوضاعها وقوانينها، والأسباب التي نشأت عنها المعيشة الاجتماعية. أمَّا علمُ الأخلاق، فلا يبحث عن النفوس والطبائع، والغرائز والصفات كعلم النفس، ولا عن المجتمعات كعلم الاجتماع، بل يضع القانون الخلقي، ويحدِّد المثل الأعلى الذي يجب أن يحتذيه الإنسان في سلوكه وأفعاله تمامًا كالفقه يُحلّل ويحرّم، ومن هنا كان علمُ الأخلاق من العلوم المعياريَّة التي يُقاس بها حسنُ الشيء

وقبحه[1].

أمَّا العلومُ الطبيعية، فقد كان نهجُ البلاغة مصدرًا مهمًّا، إذ تناول بعض هذه العلوم كعلوم الحياة حين تحدَّث عن الخفّاش والطاووس، وعلم الفلك حيث تناول خلق الكون في أحد خطبه. كما بيَّن فضل العلم حين قال: «الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الأَنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ. مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ»[2].

ولهذه الأسباب اهتم المستشرقون بسيرة الإمام علي (عليه السلام) ونهج البلاغة، فكتبوا عنه وتُرجمت أقسام منه في مؤلَّفاتهم على الرغم من شحّة تلك الكتابات مقارنةً بالمواضيع الإسلاميَّة التي تحدّثوا عنها. ولكن نرى تزايد الاهتمام في نشر حِكَم ومواعظ الإمام (عليه السلام) من قبل بعض المستشرقين المعاصرين، وتركيزهم على الجوانب العلمية بصورة أكثر.

المبحث الأوَّل: علم الأديان Religious Studies

علم الأديان هو الدراسة العلمية للدِّين. وبحسب المستشرق الهولندي هانز شيلدرمان[3] فإنَّ تعريف علم الأديان يبقى محلَّ جدل بين المستشرقين، ولا يوجد إجماع على تعريف واحد له من قبلهم. ولكنَّه مُحدَّد ومُعرَّف بصورة واضحة بين علماء الدِّين المسلمين. وبصورة عامة، تتخذ الدراسات الدينية نهجًا علميًّا وموضوعيًّا أكثر، مستقلًّا عن

أي وجهة نظر دينيَّة معيّنة. ومن ثَمَّ، تعتمد الدراسات الدِّينيّة على العديد من التخصصات والمنهجيات الأكاديمية بما في ذلك الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، وتاريخ الأديان.(٤)

وبالمقارنة مع الإسلام الذي وضع أساسًا واضحًا للعلوم الدِّينية، ونستطيع الاستشهاد بذلك عند تصفح نهج البلاغة، ولاسيما قول الإمام علي (عليه السلام): «اَلْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ اَلْأَدْيَانِ، وَعِلْمُ اَلْأَبْدَانِ»، وقوله: «اَلْعِلْمُ عِلْمَانِ مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ وَلاَ يَنْفَعُ اَلْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ اَلْمَطْبُوعُ»(٥)، فقد بدأت ملامحُ الدراسات الدِّينية الأكاديمية في أوروبا في القرن التاسع عشر، عندما ازدهر التحليل العلمي والتاريخي للكتب الدِّينية من قبل بعض المستشرقين؛ إذ تُرجمت النصوص الإسلاميَّة والهندوسيَّة والبوذيَّة لأول مرة إلى اللغات الأوروبية.(٦) ومن بين أولئك المستشرقين الأوائل المستشرق الألماني ماكس مولر(٧) والهولندي بيتروس تيلي(٨).

وقد اهتم المستشرقون القدماء والمعاصرون بفكر الإمام علي (عليه السلام)، ولاسيما في مجال علوم الأديان والدراسات القرآنية، فنرى عددًا منهم يحاول تحليل كلماته ونقدها في نهج البلاغة. وكان من بين هؤلاء المستشرق الدنماركي فرانتس بوول(٩)، ففي كتابه الذي قام بتفصيل سيرة الإمام علي (عليه السلام) بيَّن أنَّه كان من أهم مفسّري العلوم الدِّينيَّة والقرآنيَّة بعد النبي(١٠).

بينما ركَّز المستشرق الايطالي

كابريـيلي[١١] في كتابـه المهـم "الإسلام في التاريـخ" على دور الإمـام علي (عليـه السلام) في جمع القـرآن، وقـد أشـار إلى أهميَّـة كتـاب نهـج البلاغـة في تأسـيس أصـول علـم الأديـان وعلـوم القـرآن في بدايـات الإسلام عـن طريـق بعـض الخطـب والـكلمات البليغـة في هـذا الموضـوع[١٢].

وعنـد تتبّـع تاريـخ تدويـن آثـار الامـام علي (عليـه الـسلام) وخطبـه حـول القـرآن في نهـج البلاغـة مـن قبـل المسـتشرقين، نـرى أنَّ البريطـاني أوكلي[١٣] هـو مـن أوائـل مَـنْ تنـاول هـذا الموضـوع حين ركَّـز على بعـض الخطـب وترجمتهـا إلى اللغـة الانكليزيـة ونشرهـا في عـام ١٧١٧م، وهـو بذلـك يُعـدُّ مـن أوائـل المسـتشرقين الذيـن قامـوا بترجمـة نهـج البلاغـة إلى اللغـة الانكليزيـة. وكان مـن أهـم مـا قـام بترجمتـه والتعليـق عليـه، قـول الامـام علي (عليـه الـسلام) حـول القـرآن والشريعـة: «كِتَـابَ رَبِّكُـمْ فِيكُـمْ مُبَيِّنـاً حَلاَلَـهُ وَحَرَامَـهُ وَفَرَائِضَـهُ وَفَضَائِلَـهُ وَنَاسِـخَهُ وَمَنْسُـوخَهُ». وقـد أشـار إلى أنَّ هـذه الـكلمات والخطـب الأخـرى تؤكّـد علـم الإمـام علي (عليـه الـسلام) في علـم الأديـان والفقـه[١٤].

ومـن المآخـذ الكـبيرة على هـذا المستشرق أنَّـه قـد شكَّك بأصل بعض الخطـب الـواردة في نهـج البلاغـة، شـأنه في ذلـك شـأن بعـض المستشرقين مـن المدرسـة الاسـتشراقية القديمـة التـي تميـزت بالاعـتماد على بعـض المصـادر العربيـة التـي شـكّكت بأصـل نهـج البلاغـة، وكان مـن أصحـاب هـذا الـرأي المسـتشرق لامنـس[١٥] المعـروف بحقـده وعدائـه لأهـل البيـت (عليهـم الـسلام) وكل مـا نقـل

عنهم. والغريب أنَّ لامنس ينفي عن الأسانيد الكبيرة صفة الثبوت التاريخي؛ لأنَّها لا تخدم غرضه في الإساءة. بينما هو يؤكد هذه الصفة للأسانيد القليلة الضعيفة، المغالطة؛ إذ إنَّها تخدم أهدافه وغاياته[١٦].

وكان هنالك مستشرق فرنسي اسمه بول كاسانوفا[١٧]، وهو معاصر للمستشرق لامنس، وقد ردَّ على مغالطاته وأفكاره المنحرفة وإساءاته الشديدة عن طريق تأكيده نسبة كتاب نهج البلاغة إلى الإمام علي (عليه السلام)، والذي وصفه قائلًا إنَّه يمثل روح الإسلام النَّقية، وهو يعد أحد مفسري القرآن ومن الشرّاح لعلوم الدِّين في وقته[١٨].

ولكن عند المقارنة مع المدرسة الاستشراقية المعاصرة، نرى تغيّرًا كبيرًا في هذا الاتجاه الذي كان سائدًا عند أغلب المستشرقين، فقد بيَّن المستشرق الأمريكي المعاصر ماثيو بيرس[١٩] أنَّ كتاب نهج البلاغة لا يقبل الجدال والشك في نسبته إلى الإمام علي (عليه السلام)، وأنَّه قد تميَّز بوضع تفسيرات ملهمة للقرآن عن طريق بعض خطبه التي تناولت معاني وشروحات متميزة لبعض سور القرآن[٢٠].

ومن الملاحظ أنَّ معظم المستشرقين المعاصرين قد ركَّزوا جُلَّ اهتماماتهم وكتاباتهم على موضوع علم الإمام والمعرفة والدراسات القرآنية عند الأئمة، وكان من أبرز هؤلاء المستشرق البريطاني كولن تيرنر[٢١] الذي يعتقد أنَّ للإمام علي (عليه السلام) دورًا بالغ الأهمية في التفسير القرآني ونشر العلوم القرآنية، وقد أشار إلى ذلك عن طريق تناوله

بعض الخطب وقصار الكلمات التي وردت في نهج البلاغة [٢٢].

وبصورة مماثلة، أكَّدت المستشرقة البريطانية لالاني[٢٣] أنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد اهتم بنشر العلوم الدينية والقرآنية من خلال خطبه ورسائله في كتاب نهج البلاغة الذي عدَّته هذه المستشرقة من أهم المصادر الإسلامية المبكرة التي قدَّمت تفسيرات واضحة لعلوم الشريعة والفقه والحديث[٢٤].

وبالنسبة إلى المستشرق إيتن كولبيرغ[٢٥] فإنَّه قد عدَّ نهج البلاغة من أهم الكتب التي تناولت بدايات الحديث والفقه عند المسلمين، وفي رأيه أنَّ نهج البلاغة يمثل بداية نهضة فكرية في علوم القرآن والتفسير [٢٦].

وممَّا يجدرُ ذكرُهُ أنَّ المستشرق الكندي أندرو ريبين[٢٧] قد أشار في كتابه "القرآن: بدايات التفسير" إلى أنَّ نهج البلاغة تضمَّن العديد من الخطب والكلمات المهمَّة التي ساعدت على تفسير القرآن في العصر المبكر للإسلام، وبذلك فإنَّ الإمام علي (عليه السلام) يعد من أوائل من وضع تفسيرًا منطقيًّا موضوعيًّا لبعض سور القرآن.[٢٨]

وتشير دائرة المعارف الإسلامية of Islam Encyclopedia إلى أنَّه في "نهج البلاغة"، يقدِّم الإمام عليّ (عليه السلام) رؤى عميقة في الدراسات الدينية، مع التركيز على علم الإلهيات والأخلاق والعلاقة بين الإيمان والطقوس العبادية. وتؤكد تعاليمه أهميَّة فهم الله ومبادئ الإسلام والمسؤوليات الأخلاقية للأفراد[٢٩].

ويؤكد جون تايلور[٣٠] أنَّ أحد الجوانب المهمّة في خطاب الإمام

علي (عليه السلام) في نهج البلاغة هو استكشافه لطبيعة الله. فهو يسلّط الضوء بشكل متكرر على صفات الله، مثل الرحمة، والعدل، والعلم بكل شيء، ويشجع المؤمنين على تطوير علاقة شخصية عميقة مع الله[٣١].

ومن ناحية أخرى، بيَّن المستشرق الألماني رينر برونر[٣٢] شدَّة تعمّق الإمام علي (عليه السلام) في مفهوم العبادة، ولاسيما في خطبه في نهج البلاغة؛ إذ أشار في بعض خطبه إلى القرآن والعبادات وأهمية الإخلاص والنية. وقد أكَّد المستشرق برونر أنَّ هذا التعليم القرآني، الذي نبع من نهج البلاغة، يعكس مبدأً أساسيًّا في علم الإلهيات الإسلامي، يؤكد فيه أنَّ التفاني الحقيقي ينبع من الإيمان الحقيقي وليس مجرد الالتزام الشعائري[٣٣].

أمَّا المستشرقة الايطالية لورا فاليري[٣٤]، فقد أشارت إلى دور العلوم الدينية في نهج البلاغة، حيث أكَّدت أنَّ الأخلاق تؤدّي دورًا محوريًّا في التعاليم الدينية للإمام علي (عليه السلام). فهو كثيراً ما يتناول أهمية الشخصية الأخلاقية، ويحثُّ أتباعه على تجسيد الفضائل، مثل: الصدق، والتواضع، والرحمة. وتناولت بعض أقواله: إنَّ أفضل الناس هو من يتمتّع بأفضل الخلق. وبيَّنت أنَّ هذا التأكيد على الأخلاق بوصفها جزءًا لا يتجزأ من الإيمان، يشجع على اتباع نهج شامل للحياة الدينية، حيث يتماشى السلوك الشخصي مع المعتقدات الروحية[٣٥].

وترى المستشرقة البريطانية ارزينا لالاني أنَّ أفكار الإمام علي (عليه السلام) وآراءه في نهج البلاغة بشأن

المعرفة متداخلة بشكل عميق مع الدراسات الدينية. فهو يدعو إلى السعي وراء المعرفة الدينية بوصفها التزامًا على كل مسلم، وهذا المنظور يضع المعرفة ليس بوصفها وسيلة للتنمية الشخصية، وإنَّما هي أداة لفهم إيمان المرء وحياته [٣٦].

بينما تؤكد المستشرقة الامريكية المعاصرة ديانا شتيكرولد[٣٧] أنَّ نهج البلاغة يتناول فيه الإمام علي (عليه السلام) أهمية المسؤولية المجتمعية والجماعية في الممارسة الدينية. ويؤكد أهمية الوحدة بين المؤمنين، فهو يتحدَّث عن المؤمنين بأنَّهم يتميزون بالآتي: "قوة في الدِّين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وعلمًا في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعًا في عبادة". وتوضح هذه الاستعارة الجانب الجماعي للإسلام، ويسلط الضوء على أنَّ الإيمان ليس مجرد جهد فردي، بل هو رحلة جماعية نحو الإصلاح.[٣٨]

وأمَّا بالنسبة إلى المستشرق الفرنسي ماسينون[٣٩]، فقد أدرك أنَّ نهج الإمام علي (عليه السلام) في التعامل مع العلم كان قائمًا على اعتبارات أخلاقيَّة. وقد امتد تأكيده على العدالة والأخلاق والتوازن إلى نظرته إلى العالم الطبيعي. فقد حثَّ الإمام علي (عليه السلام) الناس على استعمال معرفتهم لصالح المجتمع، واعتبار دراسة الطبيعة وسيلة لفهم حكمة الله [٤٠].

وممَّا سبق تناوله، فإنَّ المستشرقين قد عدُّوا "نهج البلاغة" بمنزلة مورد ومصدر حيوي للدراسات الدينية وعلوم القرآن؛ إذ يقدم رؤى حول طبيعة الله، ومبادئ العبادة، وأهمية

الأخلاق، وقيمة المعرفة والمجتمع. وتشجع تعاليم الإمام علي (عليه السلام) على الفهم الشامل للإيمان، وحثّ المؤمنين على تجسيد معتقداتهم عن طريق العمل والنزاهة الأخلاقية.

المبحث الثاني: العلوم الإنسانية Humanities

تناولت بعض الخطب والرسائل في نهج البلاغة العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، وقد أشار المستشرق الألماني شتروتمان[٤١] إلى ذلك في مقالته "مؤلفات الشيعة الاثني عشرية" التي بيَّن فيها أنَّ كتاب نهج البلاغة يقدّم فيه الإمام علي (عليه السلام) رؤى عميقة في العلوم الإنسانية، بما في ذلك الأخلاق والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان ومبادئ السياسة والحكم الرشيد[٤٢].

وفي جانب العلوم الإنسانية، نرى أنَّ أغلب المستشرقين قد ركَّزوا على مبادئ حقوق الإنسان وعلوم السياسة والسلطة والحكم الإسلامي بصورة أكثر عن بقية المجالات في العلوم الإنسانية. وكانت رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر قد أخذت نصيبًا كبيرًا، وشغلت حيِّزًا مهمًّا في دراسات المستشرقين، ولاسيما المعاصرون منهم. فنجد أنَّ المستشرق الانكليزي السير توماس آرنولد[٤٣] يرى الإمام علي (عليه السلام) شخصية مهمَّة في التاريخ الإسلامي المبكر. ويلاحظ تأكيده مبادئ العدالة في خطبه ورسائله في نهج البلاغة، وأشار إلى أنَّ معاملته الحكيمة لجميع المواضيع، والتزامه بمبادئ الإسلام قد أكَّدت قدرته السياسية الفعالة في

أصعب الأوقات. وقد سلّط الضوء على كيفية تجذّر حكم الإمام علي (عليه السلام) في القيم الأخلاقيَّة والمعنوية، التي شكَّلت سابقة للحكم الإسلامي فيما بعد[٤٤].

ومن ناحية أخرى، بيَّن المستشرق الايطالي ليون كايتاني[٤٥] أنَّ أحد الموضوعات الرئيسة في خطاب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة هو مفهوم العدالة. فهو يؤكّد في كثير من الأحيان الحاجة إلى العدالة في الحكم والتفاعلات المجتمعيَّة. ففي رسائله، ينصح القادة بأن يكونوا عادلين ومنصفين، قائلاً: "أفضلُ الحاكم هو العادل؛ لأنَّ العدلَ هو أساسُ الحكم". يعكس هذا التأكيد على العدالة فهمًا عميقًا للديناميكيات الاجتماعية، وضرورة القيادة الأخلاقية في تعزيز الانسجام والثقة داخل المجتمعات[٤٦].

ويعتقد المستشرق الأمريكي جيمس ميريك[٤٧] أنَّ أهمية كتاب نهج البلاغة تتمحور في أنَّه يركز بصورة واسعة على مواضيع تهتم بكرامة الإنسان وحقوقه. ويتناول بعض خطب الإمام علي (عليه السلام) وهو يدافع عن الضعفاء والفقراء والمهمّشين. وأكد أنَّ هناك كثيرًا من الإشارات الواضحة في نهج البلاغة التي تسلط الضوء على التحدّيات الاجتماعية التي يواجهها الأفراد، والضرورة الأخلاقية لضمان الوصول العادل إلى الموارد والفرص[٤٨].

بينما يركّز المستشرق الدنماركي بيترسن[٤٩] على دور الإمام علي (عليه السلام) في العدالة الاجتماعية من خلال خطبه في نهج البلاغة، فيقول: إنَّ أفكار الإمام علي حول المعرفة

تؤكد دورها في التنمية الإنسانية. فهو يشجعُ على السعي من أجل تحقيق العدالة ليس فقط من أجل المنفعة الشخصية، ولكن بوصفه وسيلة لرفع مستوى المجتمع. وفي رأيه أنَّ هذا المنظور يعزّز ثقافة التعلّم الاجتماعي التي تهدف إلى معالجة القضايا الاجتماعية وتعزّز الرفاهية الجماعية [٥٠].

وتناول المستشرق ولووستن[٥١] الرؤية السياسية والصفات القيادية في شخصية الإمام علي (عليه السلام) من خلال نهج البلاغة، فوصفه بأنَّه أعظمُ خطيب في عصره، منوّهًا إلى أنَّ نهج البلاغة قد تضمَّن عددًا من المفاهيم والأفكار السياسية التي يمكن الإفادة منها[٥٢].

ويشير المستشرق الأمريكي ماثيو بيرس إلى أنَّ نهج البلاغة يوفر أساسًا غنيًّا للعلوم الإنسانية من خلال تأملات الإمام علي (عليه السلام) حول العدالة والحقوق والمعرفة والرحمة. وتدعو تعاليمه إلى السلوك الأخلاقي والمسؤولية الاجتماعية، وتشجع الأفراد على المساهمة بشكل إيجابي في مجتمعاتهم، والحفاظ على كرامة الناس جميعًا[٥٣].

في حين يرى المستشرق الأمريكي المعاصر ديفيد توماس أنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد قَدَّمَ رؤى عميقة حول علم النفس والسلوك البشري في نهج البلاغة، وتتطرّق كلماته إلى الأعماق الداخلية للعقل البشري، وتأثير النوايا، والطريقة التي تشكّل بها الخيارات الشخصية مصير الشخص. كان الإمام علي (عليه السلام) يعتقد أنَّ فهم النفس البشرية أمر ضروري للنمو

الأخلاقي والروحي. وكثيرًا ما أكَّد أهمية التأمل الذاتي، ووصفه بأنَّه طريق اكتساب الحكمة وضبط النفس. وعلى وفق ذلك، يجب على البشر أن ينظروا إلى الداخل لفهم ميولهم ودوافعهم، ممَّا يسمح لهم بتطوير فضائل التواضع والصبر والعدالة [٥٤].

ومن ناحية أخرى، تناول المستشرق الأمريكي لويسون[٥٥] العلوم السياسية في نهج البلاغة، فقال: "لقد أولى الإمام علي أهمية كبيرة في وضع أساس الفلسفة السياسية لمبادئ الحكم الرشيد في مشروع دولته، واتضحت معالم ذلك المشروع بشكل كبير من الأيام الأولى في عهده. فكان أساس دولته العدالة والشفافية والنزاهة ومحاسبة الفاسدين، وفي الوقت نفسه إرساء مبدأ المصالحة والتوافق السياسي. وإذا ما حاولنا تطبيق السمات الأساسية ومبادئ الحكم الرشيد التي عُرضت سابقًا على فترة حكم الإمام علي ستظهر لنا بصورة واضحة وجليَّة أنَّ دولته كان قوامها الحكم الرشيد، وأنَّه أوَّل من وضع الأسس لتلك المبادئ بعد الرسول" [٥٦].

وأمَّا في مجال علم النفس، فتشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أنَّ "نهج البلاغة قد تضمَّن العديد من الإشارات التي تناولت وركَّزت على المفاهيم النفسية – الاجتماعية مثل: الانفعالات والعواطف، والسلوك البشري، وآثار المشاعر، مثل: الغضب، والحسد، والرغبة. وأدرك أن المشاعر غير المنضبطة يمكن أنَّ تدفع الناس إلى اتخاذ قرارات غير عقلانية والتصرّف بشكل غير عادل، ومن

ثَـمَّ إيـذاء أنفسـهم والآخريـن. كان الإمـام علي يعـد الغضـب مـن الأمـور الخـطيرة بالنسـبة إلى الإنسـان؛ لأنَّـه يعكّـر صفـو الحكمـة ويزعـزع راحـة البـال. وفي نهـج البلاغـة ينصـح النـاس بالسـيطرة على أعصابهـم وممارسـة التسـامح؛ لأنَّ هـذه الأفعـال تقـوي الحالـة النفسـية للأفـراد وتحسّـنها. ويحـذّر مـن مخاطـر الحسـد، الـذي يعـدّه قـوة مدمـرة تسـتهلك القلـب وتمنـع المـرء مـن تقديـر نِعَـم الحيـاة. ويؤكـد الإمـام علي أنَّ الرِّضـا الحقيقـي يـأتي مـن كبـح الرغبـات والحفـاظ على نهـج متـوازن ومعتـدل في كل شيء" [٥٧].

وأمَّـا بالنسـبة إلى المسـتشرق الأمريكـي المعـاصر كلاسـيه[٥٨]، فإنَّـه يـرى أنَّ الإمـام علي (عليـه السـلام) قـد وسَّـعَ آراءه في علـم النفـس لتشـمل سـلوك المجتمـع. فقـد لاحـظ أنَّ النـاس غالبًـا مـا يتأثـرون بالضغـوط الاجتماعيـة والرغبـة في الحصـول على الموافقـة، ممَّـا قـد يدفعهـم إلى التنـازل عـن مبادئهـم. وفي نهـج البلاغـة يحـذّر مـن مخاطـر اتبـاع الحشـود دون تمييـز، ويشـجع الأفـراد على الـتصرّف بنزاهـة، حتـى عندمـا يكـون ذلـك صعبًـا. ويتحـدَّث عـن أهميـة الشـجاعة الأخلاقيـة، فيقـول: إنَّ الشـخص يجـب أن يدافـع عـن الحقيقـة والعدالـة، بغض النظـر عـن الـرأي العـام. ويسـلط هـذا النهـج الضـوء على المرونـة النفسـية التي كان يعتقـد أنَّهـا ضروريـة لعيـش حيـاة مُرضيـة – حيـاة تتوافـق فيهـا أفعـال المـرء مـع قيمـه وقناعاتـه الداخليـة[٥٨].

وفي دراسـة حديثـة أخـرى بيَّنـت أنَّ بعـض الخطـب والـكلمات القصـار في نهـج البلاغـة قـد ركَّـزت على بعـض العلـوم النفسـية مثـل أهميـة مراحـل

التطور والنمو، وهذا يتحدَّد ضمن مفاهيم علم نفس النمو Develop-mental psychology، وأنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد تناول، في بعض خطبه، عدة مفاهيم نفسية -تربوية، كالعلاقة بين الوالدين وأبنائهم، والصحبة والصداقة وتأثيراتها النفسية - الاجتماعية، والحياة الأسرية والتواصل مع المجتمع والمحيط الذي يعيش فيه الأفراد[٦٠].

وفي رأي المستشرق جون تايلور أنَّ تعاليم الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة تتجذّر بعمقٍ في الفهم النفسي للطبيعة البشرية. وتؤكّد رؤيته للانفعالات والرغبات والتأثير الاجتماعي على وجهة نظره الشاملة للبشر، حيث تشكل النقاء الداخلي والسلوك الأخلاقي الأساس لحياة مستقرّة نفسيًّا واجتماعيًّا. ويرى هذا المستشرق أنَّ حكم الإمام علي (عليه السلام) حول النفس البشرية مهمَّة جدًّا، ويمكن الإفادة منها في الوقت الحاضر؛ لأنَّها توفّر إطارًا للأفراد للتغلب على الصراعات الداخلية، وبناء علاقات ذات مغزى مع الآخرين من خلال الوعي الذاتي والرحمة والتوازن الأخلاقي.[٦١]

واهتم المستشرق الألماني ماديلونك[٦٢] بالحياة السياسية للإمام علي (عليه السلام) وخطبه ورسائله التي ركَّزت على العلوم السياسية، ودوره في تأسيس الحكم العادل والرشيد في فترة حرجة من التاريخ الإسلامي. وتحدَّث قائلاً في كتابه "خلفاء محمد": "إنَّ خلافة علي كانت في أصعب الأوقات التي مرَّ بها الإسلام في بداياته، وإنَّه بفضل حكمته وحنكته السياسية تمكَّن من

توحيد المسلمين، وتنازل عن حقّه بالخلافة على الرغم من مكانته وسبق إسلامه". وأشار إلى خطب وكلمات عدة بيَّنت قدرة الإمام علي (عليه السلام) على تأسيس الحكم الرشيد والعادل، وأشارت إلى العلاقة التكاملية بين الحاكم والمحكوم. وسلَّط ماديلونغ الضوء على التزام الإمام بالعدالة الاجتماعية وحكمه الأخلاقي. وهو يصوّر الإمام علي بوصفه حاكمًا ملتزمًا بشدة بالمبادئ الإسلامية، وبخاصة رعاية الفقراء والمهمشين. ويؤكد ماديلونغ رفض علي للمحسوبية وإصراره على تعيين ولاة أكفاء وعادلين[٦٣].

ويبقى المستشرق البريطاني إدوارد كيبين[٦٤] وكتابه المعروف "اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية" الذي تناول فيه بعض جوانب الحياة السياسية للخلافة الإسلامية، من روّاد المدرسة الاستشراقية القديمة في القرن الثامن عشر، ومن أوائل الكتّاب الأوربيين الذين سلّطوا الضوء على الفكر السياسي للإمام في نهج البلاغة، فقد تناول العلوم السياسية والاجتماعية في فكر الإمام علي (عليه السلام)، مشيرًا إلى أهمية دوره في تأسيس مبادئ الإدارة السياسية السليمة على الرغم من الظروف الصعبة والمشاكل التي واجهته طوال فترة خلافته. كما أشاد بشخصية الإمام علي (عليه السلام) وحكمه، واعترف بشجاعته وصدقه ومعايير العدالة العالية التي حافظ عليها. وأكَّد اهتمامه بجهود الإمام علي لخلق مجتمعٍ عادل ومُنصفٍ على الرغم من التحدّيات والمعارضة التي واجهها[٦٥].

المبحث الثالث: العلوم الطبيعية Natural sciences

تضمّن نهج البلاغة عددًا من الإشارات الواضحة إلى قدرة الإمام علي (عليه السلام) على مناقشة العلوم الطبيعية وتحليلها، فنرى مثلًا في الخطبة رقم (١٥٥) كلامه عن الخفاش وهو يصفه قائلاً: «وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ائْتِلَاقِهَا فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا»[٦٦]. وهناك خطبة أخرى يتناول فيها الخلق العجيب للطاووس. وقد قام بترجمة بعض هذه المقاطع المستشرق البريطاني سايمن أوكلي، وأوردها في كتابه "كلمات علي صهر محمد وخليفته" المنشور سنة (١٧١٧م)، وكتابه الآخر "تاريخ المسلمين"، فضلًا عن وصفه أنَّ مثل هذه الخطب تشير إلى امتلاك الإمام علي فهمًا واسعًا وعميقًا للعلوم

الطبيعية، ومنها علوم الحيوان[٦٧].

وأنَّ الخطبة رقم (٨٩) في نهج البلاغة تشير إلى الكثير من العلوم الطبيعية، ففيها وصفٌ للطبيعة الجغرافية للأرض. وقد قال علماء الطبيعة إنَّ الأرض انفصلت عن الشمس، ثم انفصل القمر عن الأرض، وبعد أن صعد الإنسان إلى القمر، ودرس العلماء طبيعة تربة القمر، وما تحتوي عليه من العناصر وأشاروا إلى أنَّ الدراسة الدقيقة ترفض كل النظريات الشائعة عن القمر، ومنها انفصاله عن الأرض، ولا تقبل إلّا تفسيرًا واحدًا، وهو أنَّ القمر كائن مستقل، ومصنوع صنعًا دقيقًا ومُحكمًا، وأنَّ الذي صنعه قوة خارقة العادة ومذهلة تملك من الطاقات ما لا يملكه أي كائن من الكائنات. وأيضًا يصدقُ هذا على الأرض وأنَّها كائن مستقل لم ينفصل عن الشمس. وعلى أية حال فإنَّ علماء الطبيعة لم يتفقوا على نظرية واحدة في أصل الكون، ولا في نشوء الشمس والقمر والأرض. ومن ثَمَّ فقد اتفق الجميع على أنَّ نتائج البحوث الطبيعية كلها نسبية، ويمكن أن تتغير مع الزمن والتقدّم؛ لأنَّ منهجها يقوم على مشاهدة الحواس التي لا يعنيها إلّا الظواهر، وهي وحدها موضوع العلوم الطبيعية، واعتمادًا عليها يقرّر العلماء النتائج التي تبدو لهم، وبمتابعة الدراسة وتطور أجهزتها تظهر لهم نتائج أخرى على النقيض من الأولى، ومعنى هذا أنَّ ما يقوله علماء الطبيعة الآن، ويسمّونه علمًا قد يصبح جهلًا وخرافة بعد أمدٍ قصير أو طويل. ونلاحظ أنَّ الإمام علي (عليه السلام) لم يتناول حديثه أصل

الأرض وتكوينها، ولكنه تحدَّث عن بعض الأمور بعدما تم خلقها ووجودها[٦٨].

ويعتقد بعض الباحثين المعاصرين أنَّ الإمام علي هو أوَّل من تناول وتطرق إلى وجود الألوان غير المرئية مثل الأشعة الحمراء Infrared، والأشعة ما فوق البنفسجية Ultravi-olet في نهج البلاغة[٦٩]. ففي الخطبة رقم (٦٤) يقول (عليه السلام): «وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ اَلْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ اَلْأَجْسَامِ وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ بَاطِنٍ وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ»[٧٠].

وأشار آخرون إلى أنَّ نظرية الإمام علي (عليه السلام) في خلق الأرض ودورانها حول الشمس قد سبقت علماء الغرب في اكتشافاتهم الكونية ودراساتهم حول علم الفلك والفضاء[٧١]. ففي الخطبة رقم (١) في نهج البلاغة إشارات واضحة الى نظريات التطور والنشوء في قوله: «أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا». وعبارة "أحال الأشياء لأوقاتها" تؤكّد أنَّ العالم والأرض لم تخلق دفعة واحدة، كما يتصور ويعتقد بذلك أصحاب نظرية الانفجار العظيم Big bang theory[٧٢].

وأشار المستشرق الايطالي كايتاني إلى أنَّ الإمام علي (عليه السلام) قدَّم في نهج البلاغة رؤى عميقة في مجالات مختلفة، بما في ذلك العلوم الطبيعية؛ إذ أكَّد الترابط بين الطبيعة والعلوم الإلهية، مسلطًا الضوء على أهمية الملاحظة والعقل في فهم العالم

الطبيعي[٧٣].

وبيَّن في كتابه المهم "وظيفة الإسلام في تطور الحضارة" إلى أنَّه من الجوانب المهمّة في خطاب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة هو تأمّلاته في العالم الطبيعي. فهو غالبًا ما يستعين بأمثلة من الطبيعة لتوضيح المفاهيم الأخلاقية والفلسفيَّة. على سبيل المثال، يناقش دورات الحياة، وسلوك الحيوانات، وخصائص العناصر الطبيعية، ويشجع القرّاء على ملاحظة محيطهم والتعلّم منه. ولا يعزّز هذا النهج قيمة الملاحظة التجريبية وحسب، بل يتماشى أيضًا مع مبادئ البحث العلمي[٧٤].

وزيادة على ذلك، يعتقد المستشرق ماثيو بيرس أنَّ أفكار الإمام علي في نهج البلاغة تتناول تعقيدات الكون ونظامه. وهو يعبّر عن وجهة نظر تشجع الأفراد على السعي إلى المعرفة وفهم القوانين الطبيعية التي تحكم الوجود. وهو يؤكد أنَّ دراسة العالم الطبيعي هي طريق لمعرفة الله، وهو بذلك يشير إلى أنَّ السعي وراء العلم والروحانية يمكن أن يسيرا جنبًا إلى جنب[٧٥].

ويبيّن المستشرق البريطاني ديفيد برايس[٧٦] أنَّه عند مراجعة نهج البلاغة، نرى أنَّ في وصف الإمام علي للكون، ما يلفت الانتباه إلى تعقيد الأنظمة الطبيعية والحكمة الكامنة وراء خلقها. ويذكر الترابط بين جميع العناصر في الكون، ممَّا يشير إلى أن كل جزء من الخلق يخدم غرضًا ويندرج في خطة إلهية أكبر[٧٧].

وأشار المستشرق ماثيو بيرس إلى أنَّ الإمام علي يذكر في نهج البلاغة العناصر التي تجعل الأرض خصبة

ومستقرة للحياة، بما في ذلك الماء والنباتات وتوازن الموارد الطبيعية. ويشير إلى الأنهار والمحيطات ونمو النباتات، ممَّا يُظهر حساسية تجاه النظم البيئية للأرض والعلوم الطبيعية التي تحكمها. وهذا يُظهِر وعيًا بالجيولوجيا وعلم المياه والبيئة الطبيعية التي توفّر الغذاء للكائنات الحية. ويعكس وصفه للجبال أنَّها "مراسي ثابتة" اعترافه بدورها في تثبيت الأرض، والذي يمكن أن يرتبط في المصطلحات الحديثة بالقوى التكتونية[٧٨].

كما يؤكد المستشرق الفرنسي هنري كوربن[٧٩]، أنَّ كتاب "نهج البلاغة" يعد مصدرًا غنيًّا بالرؤى في العلوم الطبيعية، ويعزز فكرة أنَّ فهم العالم الطبيعي ضروري لكل من التطور الشخصي والتنوير الروحي. ويرى أنَّ تأمّلات الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة تشجع القرّاء على التفاعل مع الطبيعة، وتعزيز روح الاستقصاء التي تشكل أساسًا للاستكشاف العلمي[٨٠].

وفي "نهج البلاغة"، غالبًا ما تتشابك تأمّلات الإمام علي (عليه السلام) في العلوم الطبيعية مع رؤى فلسفية وروحيَّة. ومن الأمثلة البارزة خطبته التي ناقش فيها خلق السماوات والأرض[٨١].

يزاد على ذلك، وفي خطبة أخرى، يتحدَّث الإمام علي عن عناصر الماء والتربة، مؤكدًا دورهما الأساس في دعم الحياة، ويؤكد أهمية رعاية البيئة، وهو مبدأ يتردَّد صداه مع المناقشات المعاصرة حول البيئة والاستدامة[٨٢].

وقد ركَّز المستشرق كولدتسيه[٨٣] على الكيفية التي أثر بها الإرث

الفكري للإمام علي على البعد الأخلاقي للفكر الإسلامي، بما في ذلك انخراطه في العلوم وبصورة خاصة العلوم الطبيعية. وقد أعجب المستشرق كولدتسييه بالطريقة التي عزَّزت بها رؤى الإمام علي بيئة فكرية في الإسلام المبكّر شجعت على الاستكشاف الروحي والعلمي، على أساس المسؤولية الأخلاقية[٨٤].

وغالبًا ما يُنظر إلى تأمّلات الإمام علي في العلوم التي تناولها في نهج البلاغة بوصفها جزءًا من بحث لاهوتي وفلسفي أوسع. واستكشف مستشرقون مثل لويس ماسينون كيف أثّرت نظرة الإمام علي للعالم على الفلاسفة والعلماء والمتصوّفين الإسلاميين اللاحقين. فقد نظر ماسينون إلى الإمام علي بوصفه شخصية محورية وضع إرثها الفكري الأساس للتقدّم العلمي والفلسفي اللاحق في العصر الذهبي الإسلامي. حيث إنَّ تأثيره على الفلاسفة الإسلاميين الأوائل مثل الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم أمر معروف، ولاسيما ما يتعلق بالمناقشات الميتافيزيقية حول طبيعة الكون والسببية وبنية الواقع. إذ ألهم مزيجُ الإمام علي من الروحانية والعقل تقليدًا من العلماء الذين لم يروا أيّ تعارض بين المعتقد الديني والبحث العلمي[٨٥].

وتؤكد المستشرقة لالاني أنَّ أوصاف الإمام علي (عليه السلام) للظواهر الطبيعية في "نهج البلاغة" غنية بالمعنى، حيث تدمج الملاحظة العلمية مع التعاليم الأخلاقية والروحية. وتدعو رؤيته إلى تقدير عجائب الطبيعة مع تعزيز فهم أعمق

لمكانهم داخل الكون[٨٦].

وبيَّن المستشرق الأمريكي توبي هاف[٨٧] أنَّ الإمام علي يتحدَّث في نهج البلاغة عن حركة الأجرام السماوية، وخاصة دور الشمس والقمر والنجوم. ويصف كيف تتبع مساراتها الدقيقة في السماء، ممَّا يدلُّ على فهمه لعلم الفلك والنظام الطبيعي للكون. وتشير الإشارة إلى الشمس والقمر ودورهما في تنظيم الوقت والحياة على الأرض إلى وعي الإمام علي بكيفية تحكّم هذه الأجرام السماوية في دورات الليل والنهار، فضلاً عن مرور الوقت. ويشير مفهوم المدارات إلى فهم انتظام الحركات السماوية ودقتها[٨٨].

ويرى المستشرق الدنماركي فرانتس بوول أنَّه "عند مراجعة نهج البلاغة والتعمّق فيه نجد أنَّ الإمام علي يعد أحد العلماء وليس خطيبًا. فهو يحاول كشف أسرار الحياة والكون من خلال التحليل العلمي المنطقي. ومن الواضح أنَّ خطبه عن الخفاش والنمل والطاووس تشهد وتؤكد قدرته الكبيرة في سبر أغوار العلوم الطبيعية. ونرى أنَّه يستعمل المنطق الاستقرائي في كثير من خطبه"[٨٩].

لقد تناول الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة علم الحيوان Zoology، وعلم النبات Botany، وتكوين الأرض وبنيتها (أي علم الأرض Geology)، والطبيعة البشرية (أي علم النفس Psychology)، وعلم الكون Cosmology، وعلم الفلك Astronomy وغيرها. وفي بعض خطبه يظهر كفيلسوف، ويمكن أن نستقرئ في خطبه أفكارًا ومعاني ومضامين تتحدَّى أفكار الفلاسفة

الغربيين الكبار مثل رينيه ديكارت، وآرثر شوبنهاور، ووليام جيمس، وفريدريك نيتشه، وغيرهم[٩٠].

وقد أشار بعض المستشرقين إلى أنَّ ملاحظات الإمام علي (عليه السلام) على العلوم الطبيعية، ولاسيما في نهج البلاغة، تعكس توجهًا إسلاميًّا مبكراً في العلوم والفلسفة. وتعد تأمّلاته حول خلق الكون، وتكوين جسم الإنسان، ونظام الظواهر الطبيعية أمثلة على كيفية دمج الفكر الإسلامي المبكّر بالفعل للتأملات حول العالم الطبيعي في أطر لاهوتية أوسع[٩١].

فمن ناحية، كان الفيلسوف والمستشرق الفرنسي هنري كوربن شديد الإعجاب بالطريقة التي دمج بها الإمام علي (عليه السلام) دراسة العالم المادي بالمعرفة الروحية. ويعتقد كوربين أنَّ عمل الإمام علي يعكس الأسس المبكرة للعلوم والميتافيزيقيا الإسلامية، حيث كانت الظواهر الطبيعية تُرى كعلامات (آيات) تشير إلى المعجزات الإلهيَّة[٩٢].

ومن ناحية أخرى، يناقش المستشرق ويلفرد مادلونغ في كتابه "خلافة محمد"، العمق الفكري للإمام علي، مسلّطًا الضوء على فهمه وآرائه للعالم من حوله. ويركز مادلونغ بشكل أكبر على اللاهوت والسياسة، فهو يعترف أيضًا بأنَّ تأمّلات الإمام علي (عليه السلام) تكشف عن وعي شديد بالعالم الطبيعي ونظامه، وهو ما وجد صدى لدى المفكّرين الإسلاميين اللاحقين الذين تقدّموا بالبحث العلمي[٩٣].

الاستنتاجات

لقد ركَّزت كتابات المستشرقين على

شخصية الإمام علي (عليه السلام) العلمية في نهج البلاغة بوصفة القدوة والنموذج لمدرسة فكريَّة كانت تأملاتها وأفكارها بمنزلة مقدَّمة للفكر العلمي الإسلامي اللاحق. فناقش عددٌ من المستشرقين المعروفين من المدرسة الاستشراقيَّة القديمة والمعاصرة مثل: الهنغاري كولدتسييه، والدنماركي فرانتس بوول، والفرنسي هنري كوربن، والألماني ولفرد مادلونغ، وغيرهم كيف أثّرت رؤى الإمام علي (عليه السلام) على التطورات اللاهوتية والعلميَّة في العالم الإسلامي. وقد تركت رؤيته الشاملة للطبيعة، التي تمزج بين البحث الميتافيزيقي والأخلاقي والعلمي، تأثيرًا دائمًا امتد إلى ما هو أبعد من عصره، فأفكاره العلميَّة كان لها أثر كبير في العلماء اللاحقين خلال العصر الذهبي الإسلامي، وشكل المشهد الفكري للعالم الإسلامي اللاحق. وكثيرًا ما صوّر المستشرقون الإمام علي (عليه السلام) بوصفه انموذجًا للعلم والحكمة الإسلامية. ويُنظَر إلى إرثه، سواء من الناحية الدينية أم الفكرية، بوصفه الأساس الذي أرسى قواعد ازدهار العلوم في العالم الإسلامي وأسَّسها. وفي نظر العديد من العلماء، إنَّه قد شجع النموذج الفكري والأخلاقي الذي قدَّمه الإمام علي (عليه السلام)، ولاسيما في نهج البلاغة، المفكرين الإسلاميين اللاحقين على السعي وراء المعرفة، بما في ذلك العلوم الدينية والإنسانية والطبيعية.

الهوامش

(١) مغنية، ج٤، ص ٢١٢.

(٢) شمس الدين، ٢٠٠٦، ص ٨٥.

(٣) هانز شيلدرمان: مستشرق معاصر وأستاذ علم الأديان المقارن في جامعة رادبود الهولندية، له عدة مؤلفات حول علم الأديان المقارن.

Schilderman, 2014, p.2 (4)

(٥) ابن أبي الحديد، ج١٩، ص ٢٥٣.

McCutcheon, 2003, p.19 (6)

(٧) فريدريك ماكس مولر (١٨٢٣- ١٩٠٠) مستشرق ألماني اشتهر بدراساته حول علم الأديان.

(٨) كورنيليس بيتروس تيلي (١٨٣٠- ١٩٠٢) مستشرق هولندي له مؤلفات عديدة من أهمها "تاريخ أديان وادي الرافدين ومصر"، و"دين الشعوب الإيرانية".

(٩) فرانتس بوول (١٨٥٠- ١٩٣٢) مستشرق دنماركي، اشتهر بكتاباته حول السيرة النبوية، وله كتاب مهم حول سيرة الإمام علي (عليه السلام).

Buhl, 1921, p. 22 (10)

(١١) فرانسيسكو كابريلي (١٩٠٤- ١٩٩٦) من أشهر المستشرقين الايطاليين في القرن العشرين، له مؤلفات عديدة أهمها: "محمد وغزوات الإسلام"، و"الإسلام في التاريخ".

Gabrieli, 1989, p.28 (12)

(١٣) سايمن اوكلي (١٦٧٨- ١٧٢٠) مستشرق بريطاني شغل منصب أستاذ اللغة العربية بجامعة كامبرج، وله مؤلفات مهمَّة في التاريخ الإسلامي.

Ockley, 1717, p. 31 (14)

(١٥) هنري لامنس (١٨٦٢- ١٩٣٧) مستشرق بلجيكي عاش في لبنان منذ أن كان عمره ١٥ عامًا، وأسَّس مجلة البشير التي كانت تعني بالتبشير للمسيحية. وهو أوَّل من كتب مقالات باللغة العربية عن الصهيونية مؤيّدًا لها. تميَّزت كتاباته بالكذب والدس والتحريف ولاسيما حول أهل البيت (عليهم السلام).

(١٦) جرداق، ج٥، ص ٢٤٠.

(١٧) بول كاسانوفا (١٨٦١- ١٩٢٦)

مستشرق وعالم آثار فرنسي، من أهم مؤلّفاته "محمد ونهاية العالم".

Casanova, 1911, p.59 (18)

(١٩) مستشرق أمريكي معاصر وهو أستاذ علم الأديان، ومتخصص في الدراسات الشيعية في كلية سنتر في الولايات المتحدة الأمريكية. من أهم مؤلّفاته: "اثنا عشر معصومًا".

Pierce, 2016, p.13 (20)

(٢١) مستشرق بريطاني معاصر، وهو أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة دورهام في بريطانيا ومتخصص بتاريخ التشيع.

Turner, 2013, p.52 (22)

(٢٣) آرزينا لالاني: مستشرقة بريطانية من أصل باكستاني، ركّزت دراساتها وأبحاثها على التشيّع، ومن أهم مؤلّفاتها: "الفكر الشيعي المبكر"، و"دور الإمام محمد الباقر في بدايات الإسلام".

28.Lalani, 2006, p (24)

(٢٥) مستشرق يهودي معاصر متخصص في الدراسات الشيعية، وله مؤلّفات عديدة، أهمها: "التشيّع"، و"الاعتقاد والشريعة في التشيع الإمامي".

Kohlberg, 2016, p.49 (26)

(٢٧) أندرو ريبين (١٩٥٠- ٢٠١٦) من أهم المستشرقين وأشهرهم في كندا، له مؤلّفات مهمَّة حول القرآن وتفسيره، وكان يشغل منصب أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة فكتوريا في كندا.

Rippin, 2020, p. 25 (28)

904.Djebli, 1993, p (29)

(٣٠) مستشرق بريطاني معاصر، له دراسات في التشيّع وعلوم الإمام الصادق (عليه السلام).

Taylor, 1966, p. 197 (31)

(٣٢) مستشرق ألماني معاصر متخصص في الفقه الشيعي.

Brunner, 2014, p.8 (33)

(٣٤) لورا فيشي فاليري (١٨٩٣- ١٩٨٩) مستشرقة ايطالية، لها إسهامات ومؤلّفات مهمَّة في الأدب العربي والتاريخ الإسلامي، ولها بحث تخصصي في نهج البلاغة، شاركت به في المؤتمر الرابع

والعشرين للمستشرقين في عام ١٩٥٧.

Vaglieri, 1957, p.318 (35)

Lalani, 2000, p. 43 (36)

(٣٧) مستشرقة أمريكية معاصرة، وهي أستاذة علم الأديان والتاريخ الإسلامي في جامعة كاليفورنيا، ركّزت أبحاثها على تفسير القرآن والفلسفة والتصوف.

(38)Steigerwald ,2017 ,p. 452

(٣٩) لويس ماسينون (١٨٨٣- ١٩٦٢) مستشرق ورحالة فرنسي. يعد من أهم مستشرقي المدرسة الفرنسية في القرن العشرين. كان أستاذًا للدراسات الإسلامية، ومن تلامذته كان علي شريعتي، وعبد الرحمن بدوي، والمستشرق الفرنسي هنري كوربن. له مؤلفات عديدة أهمها: "عبادة فاطمة الغنوصية في الإسلام الشيعي"، و"آلام الحلاج"، و"الجهاد المقدس الأعظم للإسلام العربي".

Massignon, 2019, p.192 (40)

(٤١) رودولف شتروتمان (١٨٧٧- ١٩٦٠) مستشرق ألماني، من أهم مؤلفاته: "طائفة الزيدية"، "الشيعة الاثني عشرية"، "قوى الإسلام السياسية والفكرية في الشرق الأوسط".

Strotmann, 1926, p. 12 (42)

(٤٣) السير توماس ووكر آرنولد (١٨٦٤- ١٩٣٠) مستشرق انكليزي ومؤرخ متخصص بالدراسات الإسلامية، له كتب مهمَّة متعددة، منها: "الخلافة"، و"تاريخ الدعوة الإسلامية".

Arnold, 1924, p. 12 (44)

(٤٥) ليون كايتاني (١٨٦٩- ١٩٣٥) مستشرق وسياسي ومؤرخ ايطالي، ويعد من أهم المستشرقين الايطاليين، وله مؤلّفات عديدة، أهمها: "حوليات الإسلام" بعشرة أجزاء، و"دراسة تاريخ الشرق".

Caetani, 1907, p. 169 (46)

(٤٦) جيمس لايمان ميريك (١٨٠٣- ١٨٦٦) مبشر مسيحي ومستشرق ورحالة أمريكي، كان أستاذ الدراسات الشرقية في كلية امهرست في ولاية ماسوشوستس الأمريكية. له مؤلّفات أهمها: "حياة محمد كما نقلتها أحاديث الشيعة" الذي بيَّن فيه أنَّه قد جاء كرد لكتابات المستشرقين التي

لم تأخذ رأي الشيعة بعين الاعتبار.

Merrick, 1850, p.39 (47)

(٤٨) إيرلنك لادويك بيترسن (١٩٢٩- ٢٠٠٠) مستشرق ومؤرخ دنماركي متخصص بالتاريخ الإسلامي، أهم مؤلّفاته: "علي ومعاوية في التراث العربي المبكر".

Petersen, 1964, p. 112 (49)

(٥٠) آرثر نايلور ولووستن (١٨٤٢- ١٩٢٢) مستشرق بريطاني، له العديد من المؤلفات حول الإسلام، أهمها: "محمد: حياته وخلفاؤه".

p. 99 ,1904 ,Wollaston (51)

Pierce, 2016, p. 27 (52)

Thomas, 2008, p.477 (53)

(٥٤) لينارد لويسون (١٩٥٣- ٢٠١٨) مستشرق أمريكي، كان أستاذ الدراسات الإسلامية واللغة الفارسية والأدب الصوفي في جامعة إكسيتر في بريطانيا. له مؤلّفات عديدة أهمها: "مجموعة من الأحاديث الصوفية في الإسلام"، و"تراث الصوفية".

p. 109 ,2006 ,Lewisohn (56)

Azarbayejani, 2020, p. 39 (57)

(٥٨) سيريل كلاسيه: مستشرق أمريكي معاصر تخصص في كتابة موسوعات عن الإسلام.

p.40 ,2006 ,Glassé (59)

Mousavi et al., 2019, p.130 (60)

p. 197 ,1966 ,Taylor (61)

(٦٢) ولفرد ماديلونك (١٩٣٠- ٢٠٢٣) مستشرق ألماني، عمل أستاذًا في التاريخ والدراسات الإسلامية، تخصص في الكتابة عن فرق الشيعة والتشيع. عمل في التدريس بعدة جامعات منها: جامعة أكسفورد وجامعة تكساس وجامعة شيكاغو. له أكثر من ١٥ كتابًا، وأكثر من ١٠٠ بحث منشور في مجلّات عالمية مهمّة. من أهم كتبه "خلافة محمد"، و"المدارس والفرق الدينية في العصور الوسطى للإسلام"، و"الحركات الأثنية والدينية في العصور الوسطى للإسلام"، و"الاتجاهات الدينية في بدايات إيران الإسلامية".

151 :1997 ,Madelung (63)

(٦٤) أدوارد كيبين (١٧٣٧- ١٧٩٤) مؤرخ وأديب وسياسي انكليزي، له مؤلفات عديدة، أشهرها "اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية" الذي فصل فيه تاريخ الديانات المسيحية والإسلام والملوك والدول التي حكمت آسيا وأوربا.

Gibbon, 1911: 390 (65)

(٦٦) ابن أبي الحديد، ج٩، ص١٨١.

Ockley, 1848, p.333 (67)

(٦٨) مغنية، ج٢، ص٣٢.

Masoumeh et al., 2021, p. 29 (69)

(٧٠) ابن أبي الحديد، ج٥، ص١٥٣.

p. 9 ,2016 ,Keizoghani (71)

(٧٢) الانفجار العظيم هي نظرية فيزيائية تصف كيف تمدَّد الكون من حالة أولية ذات كثافة ودرجة حرارة مرتفعتين. نشأت فكرة تمدّد الكون علميًّا لأول مرة على يد الفيزيائي ألكسندر فريدمان في عام ١٩٢٢ عن طريق الاستنباط الرياضي لمعادلات فريدمان.

Caetani, 1907, p. 185 (73)

Caetani, 1912, p. 87 (74)

Pierce, 2016, p. 27 (75)

(٧٦) ديفيد برايس (١٧٦٢- ١٨٣٥) مستشرق ومسؤول في شركة الهند الشرقية. أهم مؤلّفاته: "مذكرات الأحداث الرئيسية في التاريخ الإسلامي من المصادر الفارسية الأصلية"، و"مقالة حول تاريخ الجزيرة العربية قبل ميلاد محمد".

Price, 1811, p. 71 (77)

Pierce, 2016, p.19 (78)

(٧٩) هنري كوربن (١٩٠٣- ١٩٧٨) مستشرق وفيلسوف وأستاذ الدراسات الإسلامية، وهو يعد من أهم مستشرقي المدرسة الفرنسية في القرن العشرين. له مؤلّفات كثيرة منها: "تاريخ الفلسفة الإسلامية"، و"الإسلام الإيراني".

Corbin, 1964, p. 113 (80)

Moosavi, 2023, p. 22 (81)

Newman, 2001, p.176 (82)

(٨٣) إكناتس كولدتسييه (١٨٥٠- ١٩٢١) مستشرق هنغاري يعد من أهم رواد المدرسة الاستشراقية الأوربية بعد

منتصف القرن التاسع عشر. له أكثر من ٥٠٠ كتاب وبحث ومقال. وكان يتقن العربية والفارسية والتركية فضلًا عن لغات أوربية أخرى.

أبحاثه حول علم الاجتماع والفلسفة وتاريخ العلوم في الشرق.

Goldziher, 1971, p. 89 (84)

Unal, 2007, p.72 (85)

Lalani, 2006, p. 31 (86)

(٨٧) مستشرق أمريكي معاصر ركزت

Huff, 2003, p. 54 (88)

Buhl, 1921, p. 59 (89)

Hassan, 1979, p. 97 (90)

Keizoghani, 2016, p.12 (91)

Corbin, 1964, p. 123 (92)

Madelung, 1997, p. 161 (93)

المصادر العربية:

١. ابـن أبي الحديـد. شرح نهـج البلاغـة. تحقيـق: محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم. دار إحيـاء الكتـب العلميـة، ١٩٥٩.

٢. جـرداق، جـورج. الإمـام علي (عليـه الـسلام) صـوت العدالـة الإنسـانية. ج ٥: علي والقوميـة العربيـة. دار ومكتبـة صعصعـة: البحريـن، ٢٠٠٣.

٣. مغنيـة، محمـد جـواد. في ظلال نهـج البلاغـة: محاولـة لفهـم جديـد. دار العلـم للـملايين: بيروت، الطبعـة الثالثـة، ١٩٧٩.

٤. شـمس الديـن، إبراهيـم. حكـم أمير المؤمـنين علي بـن أبي طالـب. دار الكتـب العلميـة، ٢٠٠٦.

المصادر الأجنبية

5 .Arnold, Thomas Walker. The Caliphate. Oxford University Press, 1924.

6 .Azarbayejani, Masoud. Psychology in Nahj al-Balaghah (Concepts and Teachings). RIHU, 2020.

7 .Brunner, Rainer. Ahl Al-Bait. In: Muhammad in history, thought, and culture: an encyclopedia of the Prophet of God. ABC-CLIO, 2014.

8 .Buhl, Frants. Alî som prætendent og kalif. Vol. 26. Universitetsbogtrykkeriet, 1921.

9 .Caetani, L. Annali dell'islam (Vol. 2). U. Hoepli.1907 ,

10 .Caetani, L. La funzione dell'Islam nell'evoluzione della Civiltà ,Bologna ,Zanichelli, Estratto da Scientia Rivista di Scienza, Vol. XI, Anno VI (1912), XXIII-3.

11 .Casanova, Paul. Mohammed et la fin du monde :étude critique sur l'Islam primitif. P. Geuthner, 1911.

12 .Corbin, Henry. Histoire de la philosophie Islamique. Gallimard, 1964.

13 .Gabrieli, Francesco. L'islam nella storia .Saggi di storia e storiografia musulmana. Vol. 1. EDIZIONI DEDALO, 1989.

14 .Gibbon .Edward. (1911). The history of the decline and fall of the Roman empire. Vol. 5, London.

15 .Glassé ,C., ed"‘ .Alī ibn Abī Ṭālib." The New Encyclopedia of Islam. AltaMira Press, 2001. pp. 39–41.

16 .Goldziher, I. (1971). Muhammedanische studien. Georg Olms Verlag.

17 .Hassan, S.M .Critical study of Nahj Al-Balagha. (PhD dissertation, University of Edinburgh), 1979.

18 .Huff, Toby E. The rise of early modern science :Islam, China, and the West. Cambridge University Press, 2003.

19 .Jdebli, M .Nahj Al-Balagha. In: Encyclopedia of Islam (Vol.7). Leiden, 1993. pp. .903-904

20 .Keizoghani, Seyyed Mahdi, and Asghar Moulavi Nafchi. "The greatness of Nahj Al-Balagha and the words of Imam Ali from the perspective of modern christian figures." International Letters of Social and Humanistic Sciences 69 (2016): 5_14.

21 .Kohlberg, Etan. Shi'ism. Routledge, 2016.

22 .Lalani, A.R. Ali ibn Abi Talib. In Leaman, O. (ed.). The Qur'an: An Encyclopedia. Routledge, 2006. pp. 28–32.

23 .Lalani, Arzina R. "Early Shīʿī Thought: The Teachings of Imam Muhammad al-Bāqir ".London: IB Taurus.(2000)

24 .Lewisohn, Leonard. "'Ali b. Abi Talib's Ethics of Mercy in the Mirror of the Persian Sufi Tradition," in Ali Lakhani, ed., The Sacred Foundations of Justice in Islam. Vancouver, 2006.

25 .Madelung, Wilfred. The Succession to Muhammad: A Study of the Early Caliphate. Cambridge University Press, 1997.

26 .masoumeh rezaeimanesh, MARZIEH ABAD, and Abbas Talebzadeh Shoushtari, “A Study on” Science “in Nahj al-Balaghah from the Perspective of Lexical Opposition and Synonymy ”,ARABIC LITERATURE (FACULTY OF LETTERS AND HUMANITIES), vol. 13, no. 1, pp. 25–46.2021 ,

27 .Massignon, Luis. The Passion of

Al-Hallaj, Mystic and Martyr of Islam. Vol. 3 .Princeton University Press, 2019.

28 .McCutcheon, Russell T. The discipline of religion :Structure, meaning, rhetoric. Routledge, 2003.

29 .Merrick, James. The Life and Religion of Mohammed. Philips Publishing, 1850.

30 .Moosavi, Zeeshan. Modern science and Hazrat Ali. Walnut Publication, 2023.

31 .Mousavi SE, Elahi T, Masjedi Arani A, Saleck Ebrahimi L, Jalilpour M, Shahsavari Z. A Comparison of Human Development in Psychology and Nahj al-Balaghah. J Res Relig Health. 2019; 4(5): 129- 140.

32 .Newman, Andrew. Islamic medical wisdom. Ansarian Publications.2001 ,

33 .Ockley, Simon. Sentences of Ali Son-In-Law of Mahomet ,and His Fourth Successor. London, 1717.

34 .Ockley, Simon. The history of the Saracens. Bohn, 1848.

35 .Petersen, E. L. Ali and Mu'awiya in early Arabic tradition: studies on the Genesis and growth of Islamic historical writing until the end of the ninth century, (PhD dissertation, University of Copenhagen), 1964.

36 .Pierce, Matthew. Twelve infallible men: The Imams and the making of Shi'ism. Harvard University Press, 2016.

37 .Price, David. Chronological retrospect, or memoirs of the principal events of Mahommedan history. London, J. Booth, 1811.

38 .Rippin, A. (Ed.) .(2020) .The Qur'an: formative interpretation. Routledge.

39 .Schilderman, Hans. "Religion as concept and measure." Journal of Empirical Theology 27, no. 1 (2014): 1_16.

40 .Steigerwald, Diana" .Twelver Shīʿī Taʾwīl ".The Wiley Blackwell Companion to the Qur'ān (2017): 449_462.

41 .Strotmann, Rudolph. Die Zwölfer-Schi'a. Zwei religionsgeschichtliche

critical analysis of Said Nursi's Epistles of light. Gerlach Press, 2013.

45 .Unal, Ali. Islamic Perspectives on Science. Light Publishing, 2007.

46 .Vaglieri, Laura. Observations sur le Nahj al-balagha in Procs. of the 24th Congress of Orientalists, Munich.19_318 ,1957

47 .Wollaston, Arthur. Muhammad: His Life and Doctrines with Accounts of His Immediate Successors. John Murray, 1904.

Charakterbilder aus der Mongolenzeit, Leipzig: Harrassowitz, 1926.

42 .Taylor, John. Man's knowledge of God in the thought of Ja'far al-Sadiq. Islamic Culture, 40. No.206_195 :1966 ,2 .

43 .Thomas, David. Nahj al-balagha". In Netton, Ian Richard (ed .(.Encyclopedia of Islamic civilisation and religion. Routledge, 2008. pp. 477–478.

44 .Turner ,Colin. The Qur'an revealed: a